قصيدة "القدسُ عاصِمةُ السَّمَاءِ" لـ: عبدِ المَلك بُومَنجل - مقاربةً تداوليَّةً-

The Poem "Jerusalem, The Capital Of Heaven" By: Abd Al-Malik Boumengel –A Trading Approach-

سامي قديم*

جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي- الجزائر.

Saminemouchi187@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021-11-23	تاريخ التقييم: 2021-06-28	تاريخ القبول: 2021-12-30

الملخّص:

تهدفُ الدِّراسة إلى تحليلِ قصيدةٍ لشاعرٍ وباحثٍ أكاديميٍّ جزائريٍّ مُعاصرٍ، هو الأستاذُ الدُّكتورُ "عبدُ الملك بُومَنجل" وِفقَ منهجٍ تداوليٍّ، وقد ركَّز البحثُ على جوانبَ مهمَّةٍ في التحليل التّداوليّ، فالقصيدة تُعدُّ مِن غُررِ الشِّعرِ المُعاصِرِ في نُصرةِ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وقد حوى البحثُ: فصلاً نظريًّا، وآخر عمليًّا، سعينا من خلالهما إلى تطبيق أحدث ما توصَّلت إليه التَّداوليَّة اليوم، وقد اخترنا الخطاب الشّعريّ عيّنة للدّراسة، والذي يُعدُّ من أصعب المدوَّنات عند التَّطبيق، فتعدَّد القراءات للقصيدة الواحدة، تتعدّد معه التّأويلات.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّداوليَّة؛ أفعالُ الكلام؛ عبدُ الملك بُومنجل؛ القُدسُ عاصِمة السَّماء.

Abstract:

The study aims to analyze a poem by a contemporary Algerian poet, scholar, and academic, who is Professor Dr. Abd al-Malik Boumanjel, according to a deliberative method. The research focused on important aspects, which are considered short and short of research. In practice, and we chose the poetic discourse as a sample for study, which is one of the most difficult codes when applying, so there are multiple readings of the poem for one, and there are multiple interpretations.

Keywords: Deliberative; verbal Deeds; Abd al-Malik Boumengel; Jerusalem, The capital Of Heaven.

*المؤلِّف المُراسل.

مُقدمـة:

حظِيت اللُّغة باهتمامٍ بالغٍ مِن قِبل الباحثينَ والدَّارسينَ مُنذ القديم، فاللُّغةُ وسيلةُ التَّواصل، وهي وعاءُ الفكرِ. انصبَّ الاهتمامُ بها مِن قِبل الفلاسفةِ ورجالِ الدِّين قبل الميلاد وبعده، وبعد مجيء الإسلام. وفي العصر الحديثِ برزت العديدُ من المدارس بدءًا بفرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913)، ونعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky (1928)، ومن جاء بعدهم. فقد كان من أولى اهتماماتِ هذهِ المدارسِ بناء نظريَّة عامَّة لقواعدَ تسمحُ بوصفِ اللُّغاتِ الإنسانيَّة، فمنهجُ اللِّسانياتِ عدَمُ المُفاضلةِ بينَ اللُّغاتِ، فجميعُ اللُّغاتِ جديرةٌ بالدِّراسةِ. وفي خضمِّ هذهِ التطوُّراتِ في العصرِ الحديثِ شهدت السَّاحةُ الأمريكيَّة بروز نظريَّة جديدة، برزت من رحم الفلسفة التحليلية، وهي ما يعرف بالتّداولية (pragmatique) أو اللّسانيّات التّداوليَّة، فهذه الأخيرة جاءت ردًّا على اللِّسانيات الوصفيَّة الَّتي أقصت الجانب الحيَّ من اللُّغة في استعمالاتها، ألا وهو الكلام.

إنَّ الهدف الَّذي تنشدُه هذه الدِّراسة ليس تقديمَ صُورةٍ مفصَّلة حول التَّداولية ونشأتها وتطوُّرها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، بل هو عملٌ تطبيقيٌّ لدراسةِ أفعالِ الكلامِ (les actes du parole)، وكيف استعمل الشّاعر الحجاج في توصيل رسالته للعالم، مع الكشف عن مواضع التّداوليَّة في الخطاب الشّعريّ المعاصر، ومدى تحكُّم الشَّاعر عبد الملك بُومنجل في هذه الآليات اللُّغويَّة، وكيف وظَّفها في خطابه.

سنعتَمِدُ خطَّة تحليلٍ تحوي فصلين: نظريٍّ وآخر عمليٍّ.

- **الفصل النظريُّ:** نعرض فيه مقّدمة، وتعريفا للتداولية وأهمّ فروعها، تصنيفات أفعال الكلام عند أوستين J. Austin وسيرل (J. Searle)

- **الفصل التَّطبيقيُّ:** يضمُّ عرضَ المدوَّنة، الأفعال الكلاميَّة حسب تصنيفات سيرل، الإشاريَّات (الضَّمائر وزَمن الخطابِ ومكانه)، الحِجَاج في القَصيدة، خاتمةً تحوي أهمَّ النَّتائج المتوصَّل إليها.

أوّلاً: التّداولية وأفعال الكلام.

1- مفهوم التّداوليّة.

ا- لغة:

تعدَّدت التّعريفات للجذر اللغويَّ (دَوَلَ)، جاء في لسانِ العرب لابن منظور قوله: (دَوَلَ)، والمصدر تَدَاوَلَ، يُقال: دَالَ، يَدُولُ، دَوْلاً: انتقَلَ مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ، وأَدَالَ الشَّيءَ: جعلَهُ مُتَدَاوَلاً. دَوَالَيْكَ: أي: مُدَاوَلَةً على الأمْرِ، ودَالَتِ الأيَّامُ: دَارَت، واللَّهُ يُدَاولُهَا بين النَّاس [1]. وورد في أساس البلاغة للزَّمخشريّ قوله: « دَالَتْ له الدَّوْلَةُ، ودالَتْ الأيَّامُ بكذا، وأدَالَ اللَّهُ بني فُلان مِن عدُوِّهم: جعَلَ الكرَّة عليهِ. واستَدَلَّ الأيَّامَ: استعطَفَها، قال: استَدِلِ الأيَّامَ فالدَّهرُ دُوَلٌ وعُقَبٌ ونُوَبٌ، وتَدَاوَلُوا الشَّيءَ بينَهم، والماشِي يُداوِلُ بينَ قدمَيهِ: يُراوِحُ بينهما ». [2]

نلحظُ ممَّا تقدَّم أنَّ دلالةَ "التَّداوُلِ" هي التَّحوُّل من مكان إلى آخرَ، ومن القوَّة إلى الضَّعفِ، تناقلٌ، تحوُّلٌ، تبدُّلٌ وتفاعلٌ.

أمَّا الأصلُ الأجنبيُّ لكلمة "تداوليَّة"، (Pragmatique) بالفرنسيَّة، و(Pragmatics) بالإنجليزيَّة، فيرجع إلى المفردة اللّاتينيَّة (Pragmaticus)، والّتي يرجع استعمالها إلى العقد الرَّابع من القرن الرَّابع عشر.[3]، وتدلُّ مفردة (Pragmatic) في الغالب على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقيَّة [4].

ب- اصطلاحا:

التَّداوليةُ علمٌ جديدٌ، لا تكتفي بالوصفِ والتَّفسير، بل تتعدَّى ذلك لدراسةِ الظّواهرِ اللُّغويَّة في مجالِ الإستعمال. تمثِّلُ حلقةَ وصلٍ بين العديدِ مِنَ الحُقول المعرفيَّة، كالفلسفة، اللِّسانيَّات، الأسلوبيَّة والبلاغةِ.

لقد تعدَّدت تعريفاتُ التَّداوليَّة، فقيل: هي: « فرعٌ لسانيّ يُعنى بدراسةِ التَّواصل (communication) بين المتكلِّم والمتلقّي »[5]. وهي عند الجيلالي دلاش: "تخصُّصٌ لسانيٌّ، يدرسُ كيفيَّةَ استخدامِ النَّاس للأدلّةِ اللُّغويَّة في صُلب أحاديثهم وخطاباتِهم، وتُعنى بكيفيَّة تأويل تلك الخطاباتِ والأحاديث".[6] والتّداوليّة عند بلانشيه: " دراسةٌ للُّغة بوصفِها ظاهرةً خطابيَّة، وتواصليّة واجتماعيَّة في نفس الوقت".[7]

يتَّضحُ جليًّا مِنْ هذه التّعريفات الاصطلاحيَّة للتّداوليَّة أنَّ التَّداوليَّةَ هي لسانياتُ الحوارِ، أو الملكة التَّبليغيَّة.

للتَّداوليَّة فروعٌ ثلاثة، فكان الفيلسوف الأمريكيّ تشارلز موريس (Charles Morris) أوّل من استعمل مصطلح التَّداوليَّة سنة 1938م، وعمل "مُوريس" على تحديدِ الإطار العام لعِلْمِ العلاماتِ، حيث تأثَّرَ كثيرًا بالتَّحليلِ السِّيميائيّ لـ: "بِيرْس" (Charles Sander Peirce)، وميَّز ثلاثةَ فروعٍ داخلَ التَّداوليّة :

- **النَّحو أو التَّركيب (Syntaxe):** وهو دراسةُ العلاقاتِ بين الصِّيغ اللُّغويّة، وكيفيَّة تنظيمها في تتابع معيَّن.

- **الدَّلالة: (Sémantique):** تختصُّ بدراسة العلاقات بين الصِّيغِ اللُّغويَّة، أي: تهدف إلى إبراز العلاقة بين الأشياء الَّتي تؤُول إليها.[8]

- **التَّداوليَّة (Pragmatique):** هي دراسةُ العلاقاتِ بينَ الصِّيغ اللُّغويَّة ومُستخدمِي هذه الصِّيغ، أي: دراسة العلامة بين مُستعمليها ومُؤوّليها (مخاطِبٌ ومُخاطَبٌ)[9].

التَّداوليَّة لا تنتمي إلى أيٍّ مِنْ مُستوياتِ الدَّرس اللُّغويّ، فالأخطاءُ والأغلاطُ التَّداوليَّةُ ليس لها أيّ علاقةٍ بالخروج عن القواعد النَّحويَّة أو الدَّلاليَّة أو الفُونُولُوجيَّة، وهي كذلك لا تقتَصِرُ على دراسةِ جانبٍ بعينِه مِنْ جوانبِ اللُّغة، بل هي تستَوعِبها جميعًا.

2: نظريَّة أفعال الكلام:

ظهَرت نظريَّة الاستعمالِ أو الألعاب كما يُسمِّيها المتخصِّصُون أوَّل مرّة في مدرسة "أُكْسُفُورد"، خاصَّة في أعمال "أوستين" Austin (1911-1960)، الَّذي يُعدُّ أحدَ مُؤسِّسي الاتِّجاه التّداوليّ في الدِّراساتِ المُعاصرة، فقد أخَذتْ تحوُّلا كبيرًا في المُنعطف اللُّغويّ في الفَلسفةِ المُعاصرةِ، حيث وضعَ "أوستين" خُطوطًا عريضةً لنظريّته الَّتي شكَّلت مِن بعدُ نظريَّة أفعال الكلام.[10]

إنَّ نظريَّة أفعال الكلام تعدُّ أولى النَّظريَّات التي بحثت العلاقة بين اللُّغة (Langue) والاتّصال (Communication)، إلاَّ أنَّها تعرَّضتْ لنقدٍ كبيرٍ لاقتصارِ أفعالِ التَّلفُّظ الثَّلاثةِ على الإنتاجِ اللُّغويِّ فحسب. وأبرز الذين انتقدوا هذه النّظريَّة "بول ريكور" P.Ricoeur، "بورديو"(Pierre Bordieu)، و"ميشال فوكو" M.Foucault، مع تأكيدِهم وإبرَازِهم لطابعها

الإيجابيّ، وبيَّنوا العديدَ مِنْ مجالاتها التَّطبيقيَّة، فعبَّروا بأقوال مفادها أنَّ نظريَّة أفعال الكلام ليست نظريَّة كاملة، وهذا النَّقدُ لا يمسُّ جوهَرَ مفهوم الأفعال الكلاميَّة، وإنَّما يعدِلُ جوانبَ ذلك المفهوم، لعلَّ القصدَ من ذلك إعطاء ذلك المفهوم قدرًا كبيرًا مِنَ الكفايةِ العلميَّةِ التَّفسيريّةِ والإجرائيّة.[11]

ا- مفهوم الفعل الكلاميّ: يشيرُ مُصطلح الفعل الكلاميّ في التَّداوليَّات إلى كلّ ملفوظٍ ينهض على نظام شكليٍّ، دلاليٍّ، إنجازيٍّ وتأثيريٍّ، حيث يتوسّل بأفعال قوليَّة إلى تحقيقِ أغراض إنجازيَّة، كالطَّلب والأمر، وغايات تأثيريَّة، كرُدُود فعل المتلقّي بالقبول أو الرَّفض.[12]

أفعال الكلام، هي ترجمةٌ للمقابل الإنجليزي (Speech Acts)، والفعل الكلاميُّ لا يتكوَّن إلاَّ بشروط معيَّنة، وهذه الشُّروط يجب معرفتها في الاتّصال والتَّسليم بها، وبذلك يُوفَّق الاتِّصال، ويبدو اتّصالاً إنسانيًّا لا تحكمه شيفرةٌ بنظامِ العلامات فحسب، بل بالاستناد على سياق التَّوارد أيضا.[13]

ب- الأفعال الكلاميَّة عند أوستين Austin:

نظريَّة الأفعال الكلاميّة عند "أوستين" ترتكز في الأساس على فكرةِ الإنجاز، وهذه الأخيرةُ قد لا تصف في الحقيقة شيئا في العالم، ولا يمكن الحُكم عليها بالصِّدق أو الكذبِ، فقد ميَّز "أوستين" بين العبارات الإنجازيّة والعبارات غير الإنجازيّة، فالإنجازيَّة تستخدم لإنجاز فعل (كالتّحيَّة، الوصيَّة، التّرحيب، الطّلب...)، فهي لا تُوصَفُ بصدقٍ أو كذبٍ، بل تكون موفَّقة أو غير ذلك، إذا راعى المتكلّم شُروط أدائها، فقولنا: فُتحت الجلسة، لا تكون له فاعليّة إلاّ إذا صدر عن شخصٍ مؤهَّل، ويؤدّي خرق الشُّروط إلى فشل الفعل الإنجازيّ، فالأفعال الإنجازيّة عند " أوزفالد ديكرو" (Oswald Ducrot)مؤسَّسة على مواضعات من النّوع القضائيّ، حيث تترتَّب على المتكلِّم والمستمع حقوق وواجبات، فهما مطالبان بالالتزام بها.[14] وقد قسَّم أوستين الأفعال غلى ثلاثة أصناف:

- **فعل القول Acte Locutoire:** وهو الكلام الصَّادر عن المتكلم، كقولك: رُقّيتُ في العمل.

- **قوة فعل القول Acre Illocutoire**: وهو الإنجاز، أي الفعل المتضمّن في القول، مثل: أخبرني بالتَّرقية.

- **ناتج فعل القول Acte Perlocutoire**: ويسمّى لازم فعل القول، وهو الأثر الّذي يتركه فعل القول في النّفس، كالفرح، والحزن مثلا.[15]

وقد صنَّف "أوستين" الأفعال الكلاميَّة إلى خمسةِ أقسامٍ استنادًا إلى قوَّتها الإنجازيَّة، وهي:

- **الحكميات (Verdictives):** غرضها الإنجازيّ، وصفٌ أو تقديم حكم بالإدانة.

- **التَّنفيذيّات (Exercitives):** غرضها الإنجازيّ متابعة الأعمال، وهي أعمال تنفيذ، كالاستقالة والتَّحويل..

- **الوعديّات (Commissives):** مثل: الوعيد، الوعيد، الموافقة والقبول، القسم...

- **السّلوكيّات (Behabitives):** كالشّكر، الاعتذار، التّرحيب، الكره...

- **العرضيّات (Expositives):** وهي أفعال لتقديم وجهات النّظر مثل: أعترض، أُنكر، أُؤكّد.[16]

المتتبّع لأفكار "أوستين" وآرائه يجد أنَّه يعترف بصعوبة التَّصنيف، بسبب تعدّد الأفعال وتداخلها مع بعضها البعض، ويُقرُّ أنَّ تصنيفه غير نهائيّ.

ج- تصنيف سيرل Searle للأفعال الكلاميَّة: لجهود "أوستين" دور كبير في إعادة "سيرل" تصنيف الأفعال الكلاميّة، وذلك لتأثّره بأستاذه أوّلا، واختلاف الهدف اللُّغويّ ثانيا، وهو ما جعل "سيرل" يُعيد هذا التّصنيف، وهو ما جعله أيضًا يفرّق بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة، وقد بيَّن الضّعف في تصنيفات أوستين للأفعال الإنجازيَّة، وقدَّم تصنيفًا بديلاً، وجعله خمسةَ أصناف هي:

-**الإخباريات أو التّقريريات (Assertives):** الغرض الإنجازيّ منها هو تعهّد المرسل بصدق قضيّة ما، أو نقل المتكلّم واقعةً ما من خلال قضيَّة.

- **الوعديات أو الالتزاميات (Commisives):** غرضها الإنجازيُّ هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، (أفعال التعهّد)، وهذه الأفعال مبنيّة على شرط الإخلاص.

- **التّوجيهيّات أو الأمريّات (Directives):** غرضها الإنجازيُّ جعل المرسل يقوم بشيء أو فعل ما، كالاقتراح، الإغراء، النُّصح، الأمر...

- **التّعبيريّات أو البوحيّات (Expressives):** غرضها التَّعبير عن حالة نفسيَّة، كالتَّهنئة، الاعتذار، الشُّكر، المواساة..

- **الإعلانيَّات أو التَّصريحيّات (Declaratives):** الغرض منها إحداثُ تغيير في العالم، فإذا أدَّيتَ فعل إعلان الحرب أداءً ناجحاً، فالحرب معلنة.[17]

اختلف الباحثُون في تحديدْ عناصر التّداوليَّة، فذهب بعضُهم إلى أنّها خمسة، وقيل أربعة وقيل ثلاثة، والمتتبّع لآراء الباحثين يرى أنّ تحليل الخطاب في ضوء النَّظريَّة التّداوليَّة يكمُن في أربعة مباحث هي: أفعال الكلام، الإشاريات، زمن الخطاب ومكانه، الحِجَاج.

ثانيا: الأفعال الكلاميَّة في قصيدة "القدسُ عاصِمةُ السَّماءِ"[18].

1- القصيدة:

❖ القُـدسُ عاصِمَـةُ السَّمَاءِ وَلَـنْ ترى ... للقَـابِعينَ المُخْلِدِيـنَ إلـى الثَّـرَى
❖ أو للعَبِيـدِ الصَّاغِريـنَ جِبلَّـةً ... الذَّاهِبِـينَ مَسبَّـةً بَيـنَ الـوَرَى
❖ القُـدسُ أرضُ الله لُؤلُـؤةُ السَّمَـاءِ ... نَبْضُ المَسِيحِ الأحْمَدِيّ وَمَنْ سَـرَى
❖ فَـيْضُ الجَـدَاوِلِ بِالصَّـلاةِ وقِبلَـةٌ ... للشَّارِبِـينَ هُـدَى السَّماحَـةِ كَوثَـرَا
❖ وَمْـضُ القَـدَاسَةِ عُنفُـوانُ شبَابِهَـا ... أُسطُـورةُ الفـاروق يحْضُـنُ حَيْـدَرَا
❖ مِـنْ قمَّـةِ العَلَيَـاءِ عَيْـنُ حبِيبِهَـا ... تَرْنُـو بـالحَنِينِ إليهـا مُعطَّـرَا
❖ وبهِـمَّةِ الخُلفَـاءِ يَبـرُقُ طَيفُهَـا ... فِي عَيْنِ فُرسَـانِ الوَغَى أُسْـدِ الشّرَى
❖ سَيثُـورُ مِـنْ تـحتِ الرَّمَـادِ رجَالُهَـا ... وسَيَرفَعُـونَ مَقَامَهَـا فـوق الـذُّرَى
❖ هِيَ فـي قُلُـوبِ العَاشِقِيـنَ مَجَـرَّة ... قُدُسِيَّـة زكَّـى الإلَـهُ وطَهَّـرَا
❖ وتَظـلُّ فِـي خَلَـدِ الزَّمَـانِ عرُوسَـهُ ... بَيْـنَ المَدَائِـنِ، مَجـدَهُ مُخْضَوْضِـرَا
❖ لا، لَـنْ يَنـالَ الغَـدْرُ مِـنْ أهدَابِهَـا ... ستَظَـلُّ أشْمَـخَ مِـنْ يدَيْـهِ وأكبـرَا
❖ وسَتَشْمَخِـرُّ بِكِبـرِها الإسـرَاءُ فِـي ... خَلَجَاتِهَـا، وَدَمُ الهُيَـامِ لِـمَنْ سَـرَى
❖ ومَوَاكِـبُ الأَحـرَارِ طَـوعَ نِدائِهَـا ... مِـنْ كُـلِّ شَهْـمٍ إنْ تَكَلَّـمَ شَمَّـرَا
❖ وإذَا تَحـرَّكَ فِـي اليَدَيْـنِ إبَـاؤُهُ ... خَطَّـتْ بِـهِ الأهْـوَالُ خَطًّـا أحْمَـرَا
❖ سَـيَزُولُ هَـذَا الغُبـنُ يَرسُـمُ نَبْضَـهُ ... وَغْـدٌ إذَا لَمَـحَ الذّئَـابَ تَكَسَّـرَا
❖ وإذَا رَأَى خُضْـرَ الجَـوارِحِ والـرُّؤى ... أبْـدَى النَّواجِـذَ كالضِّبَـاعِ وكَشَّـرَا
❖ وسَتَحْضُـنُ القُـدْسُ الزَّكيَّـةُ أهْلَهَـا ... الحَامِلِيـنَ المَجْـدَ عِطْـرًا أخْضَـرَا

الضَّارِبيـــنَ الــحَيْفَ مِــلْءَ وَفائِهِــم ❖ لِعُيُونِـهَا الحَـــوْرَاء تَنْبُـــعُ كَوْثَـــرَا
وستَعْـــرِفُ الأيَّـــــامُ أنَّ تُرابَهَـــا ❖ يَلِــدُ الرِّجَــالَ غَضَنْفَــرًا وَغَضَنْفَــرَا
وسَتَعْـــرِفُ الأكْـــوَانُ أنَّ رِجَالَهَـــا ❖ صُـمُّ الخُطَـى، لَا يَعْرِفُـونَ القَهْقَـرَى

2- الأفعال الكلاميَّة:

ا- الإخباريَّات (Assertives): تعدُّ الأفعال الإخباريَّة أو التَّقريريَّة أو الإثباتيَّة عنصرًا هامًّا في تقسيم الأفعال الكلاميَّة، وهي استراتيجيَّة توضيحيَّة ، والتَّقرير في اللُّغة يمكن أنْ يُؤدَّى في أسلوب خبريٍّ بسيط، كما قد يؤدَّى في أسلوب إنشائيٍّ، واستعمال التَّقريريَّات في صيغ التَّوكيد تفرضه سياقات تواصليَّة معيَّنة.[19]

- نماذج:

- **التَّعريض:** ورد التَّعريض في أوَّل بيت من القصيدة، الَّذي يُندِّد بأهميَّة نُصرة القضيَّة الفلسطينيَّة. قال:

القُـدسُ عاصِمَـةُ السَّمَاءِ وَلَـنْ تُرى للقَـابِعينَ المُخْلِدِيـنَ إلى الثَّرَى

عرَّض الشَّاعر بالمتراخين عن نصرة القضيَّة الفلسطينيَّة، والمتخاذلين الَّذين يرضون بالعيش كالعبيد، والفعل الإنجازيُّ هو تبكيتُ الخصمِ الألدِّ، وقمع كلِّ خائن، صاغر للأعداء، وما يزيد روعة الوصف الشَّنيع لهم قول الشّاعر في عجز البيت الثَّاني. قال:

.. الذَّاهِبِيـنَ مَسبَّـةً بَيـنَ الــوَرَى.

- **المدح:** ورد المدح بكثرة في القصيدة، كيف لا، والشَّاعر في معرض الحديث عن أوَّل قبلة للمسلمين، مسرى الحبيب صلوات الله وسلامه عليه. فالقُدس قبلةُ العارفين، أرض الطّاهرين. قال الشَّاعر:

القُـدسُ أرضُ الله لُؤلُـؤةُ السَّمَاءِ نَبْضُ المَسِيحِ الأحْمَدِيِّ وَمَنْ سَـرَى

بدأ الشَّاعر بالإخبار أنَّ القدس أرض الله، إخبارُ يحمل معاني عظمةَ المُخبر عنه، ومكانته وعلوّ شأن الأرض المقدَّسة عند الله، والَّتي ذكرها الله في محكم كتابه. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الإسراء 01. إخبارٌ يحمل غرضَ الوصفِ الجليلِ لهاته اللُّؤلؤة القدُسيَّة. هي نجمٌ

تألَّق في سماء المسلمين مُزهر، بل هي بدرُ ليلٍ في دُجانا مُبهر، وصفٌ بليغ، يدلُّ على مكانة القدس وعظمتها في قلوب الأمّة الإسلاميَّة. قال:

هِيَ في قُلُوبِ العَاشِقِينَ مَجَرَّة قُدُسِيَّـة زكَّى الإلَـهُ وطَهّرَا

- **التَّوبيخ:** فعل كلاميٌّ مباشر وارد في قول الشّاعر.

أو للعَبِيدِ الصَّاغِرِينَ جِبلَّةً الذَّاهِبِـينَ مَسبَّةً بَينَ الـوَرَى

توبيخٌ جاء به الشّاعر للتَّقليل من شأن المثبّطين للعزائم، القانعين الرَّاضين بعيشة الهَوان، فالشَّاعر في هذه القصيدة ثائرٌ على الذُّلِّ، داعٍ إلى ثورة تجديديَّة، بها يُقضى على المحتلِّ، مُستعزٌّ من الَّذين تعايشوا مع الذلِّ الرَّاضين بلقمة العار. ثمَّ يُردف الشَّاعر التَّوبيخ والاِستصغار من شأنهم. قال:

سَيَزُولُ هَذَا الغُبــنُ يَرسُمُ نَبْضَــهُ **وَغْـدٌ إِذَا لَمَحَ الذّئَـابَ تَكَسَّـرَا**

استصغار للشّأن، تحقيرٌ للذَّات الَّتي ارتضت عار العيش مثل العبيد، الدَّاعية إلى العيش مع الغاصب المحتلِّ في أمان حسَب زعمهم.

ب- الوعديَّات (Commissives): إنَّ الغرض الإنجازيَّ من هذه الأفعال هو التزام المتكلِّم بفعل شيء ما في المستقبل، وسمّي الغرض الوعديّ، وعند "جورج يول" (George Undy Yule) هي: " الملزمات الَّتي: تعبّر عمَّا ينويه المتكلِّم من وعود وتهديدات وتعهُّدات".[20]

حوت القصيدةُ العديد من الوعديَّات، وسيعرّجُ البحث على أهمّها. قال:

سَتحْضُنُ القُـدْسُ الزَّكيَّـةُ أهْلَهَا الحَامِلِيـنَ المَجْـدَ عِطْـرًا أخْضَـرَا

السِّينُ في بداية الكلام من أدوات الاستقبال، لذا جاء الوعيد بها، ومثلها "سوف"، فهما يحملان دلالة زمنيَّة، وعدٌ بأنَّ هاته الأرض ستحضن أهلها الَّذين يعيشون فيها، والَّذين أجبرتهم الحربُ على الخروج منها، وعدٌ برجوعهم، حامين مجدهم المُظفَّر، نصرهم المبين، وقد استعمل الشَّاعر الجمل الاسميَّة تأكيدا على أنَّ القدس ينبُض حبُّها في كلِّ النُّفوس. قال: ... هِيَ في قُلُوبِ العَاشِقِينَ مَجَرَّة.

انتقل الشّاعر أيضا إلى أداة وهي النَّفي ليبيّن غرضا إنجازيا لأفعال الوعديَّات. قال:

لا لَنْ يَنالَ الغَدْرُ مِنْ أهدَابِهَا ستَظَـلُّ أشْمَـخَ مِـنْ يدَيْـهِ وأكبَـرَا

نفيٌ ونهيٌ في هذا البيت، أي: لنْ ينال الغدر من أهدابها، وستظلُّ أشمخ من يديه وأكبر، والنّهيُ أسلوب إنشائيٌّ من النوّع الطّلبيّ ، فالغرض الإنجازيُّ هو الاستعلاء والإنذار للأعداء الَّذين يتربَّصون بالقضيَّة الفلسطينيَّة، نهيٌ يحمل معنى الكفِّ، وهو خلاف الأمر. وغرضه استعلاء محمُودٌ، مفاده أنَّ القدس شامخة وستظلُّ شامخة. استعلاء يحمل الوعيد في قوله " لن ينالَ الغدرُ من أهدابِها ". وما يُعزّزُ ذلك هو قول الشَّاعر:

وسَتَشْمَخِرُّ بكِبرِها الإسرَاءُ فِي خَلَجَاتِهَـا، وَدَمُ الهُيَـامِ لِمَنْ سَرَى

هي رواية استشرافيَّة للنَّصر القريب، لكنَّ هذا النّصر ليس سهلاً، فدماء الأحرار ستسيلُ من أجل هذا الحلم والنَّصر المقدَّس.

يختم الشّاعر قصيدته بأسلوب الفخر الَّذي غرضه الاستعلاء على العدوِّ، وغرضه في البيت الأخير مدحٌ للشُّمِّ من رجال القدس الأبيَّة. قال:

وستَعْرِفُ الأيَّامُ أنَّ تُـرابَهَـا يَلِدُ الرِّجَالَ غَضَنْفَرًا وَغَضَنْفَرًا

وسَتَعْرِفُ الأكْـوَانُ أنَّ رِجَالَهَا صُمُّ الخُطَى لَا يَعْرِفُـونَ القَهْقَرَى

فخرٌ بتراب الأرض الطّاهرة، فقد وصفَهُم بأنَّهم لا يعرفون التَّراجع والخُضوع، وهذا دليلٌ على أنَّ هذه الأمَّة مَنصُورة، ورجالها لا يستسلِمون لعدوٍّ غاصبٍ، رافعين شعار شيخ المُجاهدين "عمر المختار رحمه الله"، القائل: "نحنُ لنْ نستسلم، ننتصِرُ أو نموتُ".

- **التَّرغيب:** قال الشَّاعر:

سَيثُورُ مِنْ تحتِ الرَّمادِ رجَالُهَا وسَيَرفَعُونَ مَقَامَهَا فوق الذُّرَى

إنَّ القوَّة الإنجازيَّة للقول هي الحثُّ على القيام والثَّورة لأجل النَّصر والحريَّة، واستعمال الاستعارة في قول الشَّاعر: "سيثُورُ من تحتِ الرِّمال"، دلالةٌ على الإقدَام والحثِّ على مواجهة الأعداء، فالشّاعر قد لمَّح إلى إمكانيَّة خروج الرِّجال من تحت الرِّمال، وهي أبلغ رسالة تحفيزيَّة ثوريَّة لرفع راية الحقِّ، ورفع راية العلم الأبيّ على أسوار القدس.

ج- التَّوجيهيَّات (Derectives): وتسمّى بالأمريَّات، وهي:" نوعٌ من أفعال الكلام الَّتي يستعملها المتكلِّمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء.[21] والغرض الإنجازيُّ الَّذي يندرج تحتها، هو توجيهُ المخاطب إلى الفعل، ومحاولة التَّأثير فيه.[22]، والتَّوجيه وظيفة من وظائف اللُّغة، وهو عند "رومان جاكوبسون" (Roman Jakobson): "وظيفة إيعازيَّة أو ندائيَّة، كما في الأمر والنَّصيحة والرَّجاء".[23] وقصيدة "القدسُ عاصمة السَّماء"، لم تشغَلِ التَّوجيهيَّاتُ

فيها مساحةً واسعةً، فالشَّاعر في صدد الوصف والإخبار، فانصَهَرَتْ بالحَمَاس الفرديّ والجماعيّ، هي مَلحمة غنائيَّة، تكشف صراع الشَّعب الفلسطينيّ، صراع لأجل الحريَّة، فالشَّاعر يوجّهُ رسالة إلى العبيد الصَّاغرين بأنَّكم لن تنالوا مِن عزمِنا في سبيل الحريَّة المغتصبة. ويصرّحُ قائلاً:

لا لَنْ يَنالَ الغَدْرُ مِنْ أهدَابِهَا ستَظَلُّ أشْمَخَ مِنْ يدَيْهِ وأكبَرَا

دعوةٌ تحمل في طيّاتها أنَّا سنُقاوم الغدرَ الَّذي بين جنَباتنا، والغدر الَّذي سيأتي مِنَ العدوّ، ولكن غدرُ ذوي القربي والمحيطين أشدُّ مضاضَةً. وهي دعوةٌ بعدم الإنشغال عن الوطن، أحاسيسُ يعيشها الشَّاعر وكأنَّه يحمل هذه المحنة الملمَّة بالشَّعب الفلسطينيّ، وكلام الشَّاعر يحمل في طيَّاته نداءات عدَّة، وإنْ لم يُصرّح بأدواته.

قال: **فَيْضُ الجَـدَاوِلِ بِالصَّلاةِ وقِبلــةٌ**، فكأنَّه ينادي القدس بقوله: يا فيضَ الجداولِ.

وقوله: **يا قدسُ** ستظلّين فِي خَلَدِ الزَّمَانِ عرُوسـهُ. **وقوله:** يا مواكِبَ الأحرَارِ أنتِ طوع نداءِ القدس.

الشَّاعر، ينادي الأبطال من الأحرار ويصفُهم بالمواكب الثَّائرة، فالشَّاعر أحيانًا تكون أفعاله مباشرة، وأحيانا تلميحيَّة، وهو ما أدَّى إلى نجاحِ الأفعالِ الكلاميَّة في تحقيقِ الأفعالِ التَّأثيريَّة.

بُنيَت القصيدة على التِّكرار، وهذه الظَّاهرة حاضرة بقوَّة، وذلك لما للتكرار من قدرة على تدعيم الفعل الكلاميّ، يقول "فيرث" (John Rupert Firth): "إنَّ معنى الكلمة لا ينكشفُ إلاّ من خلال وضعِها في سياقات مختلفة، فليعرف معنى الكلمة لا بدَّ من استعمالها في اللُّغة، والكلمةُ تُعطي دلالات مُتعدِّدة بتعدُّد السِّياقات الَّتي تنطوِي تحتها".[24]

نلحظ التّكرار في القصيدة في الأبيات (1، 3، 9، 11، 17)، فقد تكرَّرت مفردة القدسُ عدَّة مرات في القصيدة، ودلالة التّكرار هو التَّأكيد على عظم المحكيّ عليه وهو القضيَّة الفلسطينيَّة على الصَّعيد الدَّاخليّ والخارجيّ، والدَّعوة إلى تناولها في المَحافل والمؤتمرات والدِّفاع عنها.

د- التَّعبيريَّات (Expressives): أو البوحيَّات، وهي المكنونات الموجودة داخل المتكلِّم، الَّذي يسعى من خلالها لتحقيق غاية في نفسه، ولعلَّ الغرض منها: "هو التَّعبير عن الموقف

النَّفسيّ حيال واقعة أو قضيَّة، فالمتكلِّم لا يحاول أنْ يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجيَّ، ولا العالم الخارجيّ يطابق الكلمات، وهذا ما يُسمِّيه "سيرل" (Searle): الاتِّجاه الفارغ (Méthode Vide ou Direction Vide)، وشرط هذه القضيَّة الإخلاص في التَّعبير، وتحقيق المحتوى القضوي سلفا "[25] ، وقصيدة "القدس عاصمة السَّماء" قد جمعت بين الغنائيَّة والملحميَّة، فمن حيث الإيقاع: "الوزن ممَّا يتقوَّم به الشِّعر، ويعدُّ جملة جوهره"[26]، فالقصيدة على تفعيلات بحر الكامل، ومفتاحه:

كَمُلَ الجَمَالُ مِنَ البُحُورِ الكَامِلُ مُتفاعلن مُتفاعلن مُتفاعلن.

فإذا سألنا عن الإيقاع المتميّز في البحور الشِّعريَّة، فيأتي الكامل والطّويل، في صدارة هذه البحور. ونجدُ الملحميَّة: " وهي قصَّة شعريَّة خارقة وبطوليَّة قوميَّةٌ، تتغلغل العقائدُ الرُّوحيَّة في حناياها، يغلب عليها اختلاط الحقائق بالأساطير".[27] ثنائيَّة الغناء والإيقاع مزجت سايكولوجيَّة الشَّاعر الَّذي يعيش في لاوعي داخل فلسطين، فمزج في قصيدته بين الفخر تارة، والحزن تارة أخرى، متنقِّلا بين زهرات القصيد مدافعا عن القضيَّة، حاكيا وواصفا حالة القدس، وأنَّ النَّصر سيأتي لا محالة، فالشَّاعر يبوح بمكنُونات صادقةٍ، وتعبيرات مثيرة للمشاعر، مشاعر النِّضال في هذا الوجود، انفعالات تضطرب بها نفس المتكلِّم، فالمعنى الصَّريح للقصيدة أنَّ الشَّاعر محبٌّ للقدس، منافحٌ عن قضيَّتها، داعٍ إلى بذل النَّفيس لنُصرتها، أبياته رسائل لا تفنى، خالدة خلود هذه الأرض الطَّاهرة، حاملة معنى الإفصاح عن مكنُونات تعصر القلب عصرًا. فتمَّام حسَّان في هذه الحالة يرى: " أنَّ الإفصاح هو استعمال اللُّغة قصد التَّعبير عن موقف نفسيّ ذاتيّ، دون إرادة التَّأثير في البيئة، ولا يتحتَّم في هذه الحالة أنْ يكون الإسماع مقصودًا، ومن ذلك الغناء، مع عدم قصد الإسماع، والتَّعجُّب والمدح والذمّ".[28]

هـ- الإعلانيَّات (Declaratives): التَّصريحيَّات أو الإعلانيَّات، هي الأفعال الَّتي ينشأ بها إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرَّد التَّصريح بها، وهي تغيير هام عند "سيرل" في إعادة تصنيفه لأفعال الكلام، فمثلا: إذا أعلن القاضي في المحكمة أنَّ المتَّهم بريء، فيترتَّب عن ذلك براءة الشَّخص فعلا.

قال الشَّاعر: **وموَاكِبُ الأحرَارِ طوع ندِائِها**. فهذا التَّصريح صادق، يحمل تأكيدا على دعم القضيَّة في داخل فلسطين وخارجها، فالقُدس لها جنود وفيالق باسمها تنافحُ عنها وتذُود عن حِماها، ويحمل أيضًا تصريح الشَّاعر أملاً في أنْ تستفيق الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة لنصرة هذه القضيَّة قلبا وقالبا. فالتَّصريحيَّات عند "جوفري ليش" (Geofferey Leech) غالبا تنتج عن مؤسَّسات اجتماعيَّة وقانونيَّة، كالمحكمة، الدَّستور، الحاكم، القاضي. وهذه الأفعال مؤسَّساتيَّة وليست شخصيَّة.

الإعلانيَّات في قصيدةِ عبد الملك بومنجل، متنوّعة ما بين الإيقاعات التّامَّة والإيقاعات النَّاقصة. فالإيقاعات التَّامة يعتقد فيها المتكلِّم أنَّ فعله بمُجَرَّده يحقِّق المحتوى القضوي الَّذي دعاه إلى التَّصريح. والإيقاعات النَّاقصة، تجعل المتكلَّم يعتقد بأنَّ فعله لا يحقِّق سوى جزء من المطلوب، وهذا الاختلاف بينهما يجعل الهيئات المخوَّلة بالتَّصريح والإعلان محدودة كما سلف الذّكر.

المتأمِّل في قصيدة: "القدسُ عاصمة السَّماء" يلحظ تعدُّد الأفعال الكلاميَّة، وذلك يدلُّ على تعدُّد أهداف الشَّاعر، فالأفعال الكلاميَّة تارة تعبيريَّة وأخرى توجيهيَّة، وكان الإنجاز مرَّة سلوكيًّا ومرَّة تقريريًّا. وحملت الأفعال معانٍ مباشرة وأخرى تلميحيَّة، وهذا ما أدَّى إلى نجاح الأفعال الكلاميَّة في تحقيق الأفعال التَّأثيريَّة، فقد حملت متلقِّي القصيدة إلى أنْ يعيش الواقع وحقَّقت هدفَ الإقناعِ، فمن أوّل نصِّ القصيدة يشعُّ نورُ تشبيهٍ بليغٍ، "القُدس عاصمَة السَّماء"، مع تصنيفِ حقل دلاليٍّ لمفردة السَّماء: (الأرض، الثَّرى، المجرَّة...)، والمتمعِّن في أفعال هاته القصيدة يلحظ أنّ الأفعال تتغيّر وتنتقل، تعبيريّة تصف حالة الشّاعر وأحاسيسه، وتنقُل لنا وصفًا دقيقًا لنفسيَّته الثَّائرة، ثم تنتَقِل الأفعالُ إلى السُّلوكيَّات التي تجعل المخاطَب والمتلقّي يثور لأجل القدس وأهلها. وختَمَ القصيدة بمؤكِّدات كالبيت الأخير والَّذي قبله، كما استعمل الشّاعر جُملاً شرطيَّة كقوله: وإذا تحرَّك في اليدين إباؤه... وقوله: وإذا رأى خُضْرَ الجَوانح والرُّؤى.../ كما استعمل الشَّاعر الواو الحاليَّة مثال: (وتظلُّ في قلوب العاشقين مجرَّة)، كما استحضر الشَّاعر زمن الفاروق عمر بن الخطّاب –رضي الله عنه- كرمزٍ للإسلام القويِّ، الإسلام الفاتح، إسلام النَّصر

والفتوحات، خاتما القول بأنَّ رجال هاته الأرض الشَّريفة، رجال لا يعرفون التَّواني، همُّهم الوحيد، نُصرة هذه القضيَّة، وعدم التَّولّي يوم الزَّحف. قال:

وسَتَعْـرِفُ الأكْـوَانُ أنَّ رِجَالَهَـا شُـمُّ الخُطَى، لَا يَعْرِفُـونَ القَهْقَرَى

3- الإشاريَّات:

وتُسمَّى المُعيَّنات، هي مِنْ أهمِّ عناصر التَّحليلات والمقاربات التَّداوليَّة، يُشار بها على مكانٍ أو زمانٍ، أدوات يؤتى بها لبيان المقصديَّة مِنْ خلال سياقات النصّ، فتَحْتَ هذا العنصر نبحثُ عن أمور ثلاثة هي: المتحدِّث، المخاطب، زمن ومكان لخطاب. وذلك للوصول إلى تحليل تداوليّ لإشاريّات المدوَّنة الَّتي بين أيدينا.

ا- القرائن الإشاريَّة الزَّمانيَّة:

القصيدة تنتمي إلى الشِّعر المعاصر الحديث، فقد كتِبَتْ في السَّادس من ديسمبر سنة 2017، وتظهر الحداثة من خلال استعمال الشَّاعر لأفعال الماضي والحاضر والمستقبل مجتمعة. فالزَّمن مُرتبط بالفعل، والإشاريَّات الزَّمانيَّة لها قرائن تدلُّ على زمن الفعل، فالإشاريَّات الزَّمانيَّة في قصيدة "القدسُ عاصمة السَّماء" واضحة وجليَّة. تعبّرُ بتنوُّعها عن نفسيَّة كلُّها ثائرة من ذات الشَّاعر. فزمن الشَّاعر هنا معلوم ليس نكرة، ظروف زمانيّة متنوِّعة، ماضٍ، حاضر ومستقبل، قال في معرض حديثه عن المتخاذلين لنصرة القضيَّة الفلسطينيَّة: الذّاهبينَّ مسبَّة بين الورى. قدَّم صورة وصفيَّة دقيقة لحال الخذلان الَّتي يعيشها هؤولاء، فهي صورةٌ قائمةٌ على الانزياح اللُّغويّ، فدلالة "ذاهبينَ" تعني انتشار سيرتهم العفنة، وتخاذلهم وتراجعهم بين الأنام، فقد أوصل الشَّاعر بهذه المفردة "ذاهبين" تعبيرًا على واقعِهم الَّذي يعيشونه، ثم قال: نبضُ المسيحِ الأحمديّ ومن سرى. فدلالة كلمة "سرى" الصُّعودُ، فشبَّه المُنافِحِين عن هذه القضيَّة بالمحمَّديّين في وصفه، فالإسراء وقع للنَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهي مَنقَبة لم ينلها نبيّ، فالإسراء دلالة على الرِّفعة والمكانة الرَّفيعة. قال:

سيثُورُ مِن تحتِ الرَّماد رجالها...، وسيرفَعُونَ مقامها بين الذُّرى،...، ستظلُّ في خلد الزَّمان عروسَهُ.

أفعال كلاميَّة تحوي أزمنةً واحدة، وهي أنَّه لا بدَّ من قيامة ترفع الغُبنَ، الظُّلم والقهر الَّذي تعيشه القُدسُ. واستعمل الشَّاعرُ مفردة الزَّمان صريحة مُعلنة، زمانٌ لا بدَّ فيه من الكفاح حتَّى الغاية المنشودة -النَّصرُ-. فالشَّاعرُ يُمنِّي نفسه بواقع أفضل، حافل بالنَّصر والسَّلام. قال: وإذا تحرَّكَ في اليدَينِ إباؤُهُ... وقال: وإذا رأى خُضر الجوانحِ والرُّؤى...

خطابُ الشَّاعر هنا اتَّخذ مُنطلقًا لتحقيقِ الحلم، غنائيَّة في "إباؤُهُ"، وملحميَّة في "خُضرِ الجوانحِ"، "إذا تحرَّك" آنيَّةُ الزَّمن، "رأى خُضرَ الجوانحِ" استجلبه كالبرق، فالقضيَّة إذا غفلت عنها ثانية ضاعت الأحلام حسب تعبير الشَّاعر.

يختم الشَّاعر عبد الملك بومنجل الإشاريَّات الزَّمانيَّة بفخرٍ وحُلمٍ يُريد أنْ يتحقَّقا، وهما ولابدَّ واقعان. قال: وستعرِفُ الأيَّام أنَّ تُرابها يلد الرِّجال .. وقال: وستعرف الأكوانُ أنَّ رجالها شمُّ الخُطى... نلحظ أنَّ القوَّة الإنجازيَّة لهذه المهمات والإشاريَّات ساعدت على توضيح حال الأمَّة في الماضي والحاضر، ووصفت الحلم المنشود الَّذي يحمله الشَّاعر في ثنايا هذه القصيدة.

ب- القرائن الإشاريَّة المكانيَّة:

لقد أظهر الشَّاعر عبد الملك بُومنجل حيثيَّات المكان بغرض تقديمٍ أوضح بما أعدَّه للقارئ مِنْ عناصر وصيغ دالَّة على خصوصيَّة القضيَّة الَّتي يعالجها. قال:

القدسُ عاصمةُ السَّماء ...، القدسُ أرضُ الله...، استعمل مفردة القدس للدَّلالة على شرف المتكلَّم عنه، القُدسُ قبلة السَّماء، تقع بأرضِ فلسطين، تعرَّضت عبر العصور للعديد من الاحتلالات، فُتحت هذه المدينة على يد المسلمين، عاش فيها الفلسطينيُّون أحرارًا، إلى أنْ جاء الكيان الصهيونيُّ الغاشم محتلاً هذه الأرض الطَّاهرة، محوّلا إيَّاها لسيل دماء، وإلى اليوم ما زالت تُعاني الأرض ومقدَّساتها. ثمَّ تتحوَّلُ البنية المكانيَّة لتقدّم الرُّموز المشجّعة على النِّضال والتَّأسّي بالأسلاف، قال الشَّاعر: أسطُورَةُ الفاروق يحضُنُ حيدرا. دلالة صريحة تحيل إلى الثَّبات على الحقِّ، ومحاربة الأعداء حتَّى النَّصر. تلميح إلى الحقبة الإسلاميَّة، فاستعمال الرَّمز الإسلاميّ يساعد على ثبات الرُّؤية في عدم الحيد عن القضيَّة.

نلحظ في القصيدة حشدا كبيرا من الإشاريَّات المكانيَّة والزَّمانيَّة، الَّتي تستدعي التَّحليل والاستنتاج، فهي تبرز القوّة الإنجازيَّة لمكوّنات الجملة.

ج- القرائن الإشاريَّة (الشَّخصيَّة): القرائن الإشاريَّة هي الضَّمائر الَّتي تحيل على متكلِّم أو جماعة من المتكلِّمين وأطراف الخطاب الأخرى.، "فالإشاريَّات الشَّخصيَّة تدلُّ بشكل عام على متكلِّم أو مخاطب، حاضر أو غائب، فالذَّات المتلفِّظة تدلُّ على المرسل في السِّياق، فقد تصدر خطابات متعدِّدة عن شخصٍ واحدٍ، فالذَّات المتلفِّظة تتغيَّر حسب السِّياق الَّذي تُلفظ فيه ."[29]، وتنقسم الإشاريَّات إلى وجوديَّة (شخصيَّة)، وإشاريَّات ملكيّة، فالشَّاعر قد تقمَّص دور المتكلِّم، فهو يخاطب دون استعمال ضميرٍ يعود عليه. قال:

القدسُ عاصمةُ السَّماءِ ولن تُرى ، وقال: ومضُ القداسة عُنفُوان شبابها. فضمير المخاطب الغائب يشير إلى تحدِّي انكسارات الواقع الَّذي يعيشه القدس الشَّريف، فالشَّاعر أكثر من الضَّمائر الَّتي تعود على القدس وعلى القضيَّة الفلسطينيَّة، قال: (طيفُها، رجالُها، أهدابُها، خلجاتها...)، فالشَّاعر يُعطي نفَساً روحيًّا للقضيَّة، فأكثر من الإشاريَّات المحكيَّة الَّتي تُشير إلى القدس، واستعمل ضمائر مستترة، كـ: "لن تُرى" أي: لها، "كوع ندائها" أي: هي، "تُرابها" أي: تراب القدس.

نلحظ من سياق الكلام أنَّ الضَّمائر المستترة هي أيضا تعود على القدس، فالشَّاعر لم يستعمل ضمير المتكلِّم، لأنَّه بصدد وصف قضيَّة وتقديمها للعالم، "الأنا" غائب تماما من القصيدة، فالضَّمير المُستتر المفهوم من سياق الكلام في أوَّل القصيدة : "هي القدسُ عاصمةُ السَّماء"، فبمجرَّد استحضاره، تضع أمامك وبصورة آليَّة شخصًا للحوار، وهو الآخر "أنت"، "أنتم"، واستعمل الشَّاعر الجمع في عدَّة مواقف. فالشَّاعر ليس بصدد الحديث عن نفسه أو عن محنة يعيشها، بل هو يحمل قضيَّة، والواجب نصرتها.

إنَّ الحديث عن الإشاريَّات عنصر أساس في التحليل التَّداوليّ، إذ بها تكشف المكنونات، ويُحلَّل الخطاب الشِّعريُّ تحليلاً سهلاً، لأنَّ المُبهمات كلها تُصبح واضحة للقارئ.

4- الحِجَاجُ في القصيدة:

استطاع الشَّاعر أنْ يؤثِّر في المخاطب، ويُقنعه بالقضيَّة الَّتي يعالجها نصُّه، وفنُّ الإقناع وسيلة غايتها التَّأثير على الغير، وهذا الفنُّ بوسائله يدعى "الحِجَاج". فالحِجَاج في معناه اللغويّ لا يخرج عن الإنكار والخصام وطلب الدَّليل. "الحجَّة: البرهان، وقيل: الحجَّة

ما دُوفع به الخصم، وقال الأزهريُّ: الحجَّة: وجه الظَّفر عند الخُصُومة، وحاجَّه: نازعه، وحجَّه يحجُّه حجًّا: غلبه بحُجج دامغَةٍ، والحجَّة: الدَّليل والبُرهان".[30] وفي القواميس اللُّغويَّة الغربيَّة: مُصطلح (Argumentation)، هو فنُّ استعمال الحجج، والاعتراض بها في مناقشات معيَّنة، فحاجج (Argumenter)، هو الدَّفاع عن أمر أو قضيّة أو أطروحة بوسطة الحجج.[31] والملاحظ على هذه القصيدة ترتيب الحجج، وهو ما يعرف عند "ديكرو" بالسّلم الحجاجي، فالمتكلِّم يبدأ بعرض الحجَّة تلو الأخرى تباعاً بمؤكِّدات حتَّى يصل إلى الحجَّة الأقوى، والشَّاعر هاجم المتخاذلين والأعداء، ويبيّن لهم أنَّ القدس والأرض الطَّاهرة الّتي عليها ستخلد وستبقى شامخة. قال: **وإذا تحرَّك في اليدين إباؤهُ** . كما نجد الشَّاعر يدعو إلى اتّباع الأسلاف والأجداد لتحقيق أمجادهم، وكيف لم يخضعوا وجدُّوا وعزموا إلى أنْ آلت إليهم الأرض وأصبحوا حكَّامها. قال: **وبهمّة الخلفاءِ يبرُق طيفها**، فالشَّاعر يأتي بالقول ثمَّ يُتبعه بحجج مرتَّبة متسلسلة. واستعمل الشَّاعر العديد من الأدوات اللُّغويَّة الحجاجيَّة لأجل التَّأكيد والإقناع. ونذكر منها حرف السّين الملازمة للفعل "عرف" قال: **وستعرف** الأيّام أنَّ **تُرابها. وقال: وستعرف** الأكوان أنَّ رجالها. واستعمل الشَّرط في قوله:

وإذَا تَحرَّكَ فِي اليَدَيْنِ إبَاؤُهُ ... وقوله: **وإذَا** رَأَى خُضْرَ الجَوارِحِ والرُّؤى ...

نلحظ في معرض التَّحليل، أنّ الحجاج هو ضرورة للحديث عن الأفعال الكلاميَّة، فالأفعال التَّأثيريَّة لكلِّ فعل كلاميٍّ هي بالضَّرورة تهدف وترمي إلى إقناع المخاطب، وذلك بتحريك مشاعره، وإثارة انفعالاته واستمالتها.

- خاتمة:

هذا العملُ، هو محاولةٌ لدراسةِ قصيدةٍ من منظورٍ لسانيٍّ تداوليٍّ، وقد طبَّقنا أحدثَ ما توصَّلت إليه اللِّسانيَّات التَّداوليَّة على خطاب شعريٍّ، فالشِّعر له ميزة خاصَّة، وهي صعوبة التَّحليل، على عكس الكلام النَّثري، فالشِّعر يحوي معاني كثيرة، وهذه الأخيرة تتعدَّد تأويلاتها، وهو ما يُشْكِلُ أحيانًا على الدَّارس، وقد خلُصَت هذه الدِّراسة إلى النَّتائج الآتية:

- إنَّ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة Les Actes Du Parole، مبحثٌ أساس من مباحث التَّداوليَّة.

-التَّداوليَّة فكر لغويٌّ جديد، يتشارك مع العديد من العلوم: كاللِّسانيَّات، الفلسفة والبلاغة.

- لا تقتصر التَّداوليَّة على اللُّغة العادية فحسب، بل تتعدَّى ذلك إلى الخطابات الشِّعريَّة.
- قدرة الشَّاعر عبد الملك بومنجل على تملُّك أدوات اللُّغة، وتوظيفها توظيفًا يدعم حُججه.
- غلبةُ الأفعال الكلاميَّة بتقسيماتها الأربعة على مُدوَّنة البحث.
- مباحثُ التَّداوليَّة حاضرة في القصيدة، فالقصيدةُ تداوليَّة بامتياز.
- غلبةُ القرائنُ الزمانيَّة والمكانيّة على باقي الإشارات في القصيدة.
- إنَّ عبد الملك بومنجل الجزائريّ، شاعرٌ معاصرٌ، يحمل همَّ القضيَّة الفلسطينيَّة.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسانُ العربِ، دارُ الحديثِ، القاهرَة، مجلَّد 3، 1423 هـ- 2003 م، (دَوَلَ)، ص 450.

[2]- الزَّمخشَريُّ: أساسُ البلاغةِ، تح: محمَّد باسِل عُيون السُّود، منشُورات: محمد علي بيُّوض، دارُ الكتبِ العلميَّةِ، بيروت، ط1، 1419 هـ- 1998 م، ص 303.

[3]- نوّاري سعودي، في تداوليَّة الخطاب الأدبيّ، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 18.

[4]- ينظر: فيليب بلانشيه، التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحواشة، دار الحوار، سورية، ط 1، 2007، ص 17.

[5]-نادية رمضان النّجار: الاتّجاه التّداوليّ والوظيفيّ في الدَّرس اللُّغويّ، مؤسَّسة حورس الدّوليَّة للنَّشر، الإسكندريَّة، مصر، ط 1، 2013، ص 09.

[6]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللّسانيات التّداوليَّة، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، د ط، د ت، ص 01.

[7]- ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19.

[8]- عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيّات الخطاب، مقاربة تداوليَّة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 21.

[9]- ينظر: جول يول: التّداوليَّة Pragmatics، تر: قصي العتابي، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 19.

[10]- الزواوي بغورة، الفلسفة واللُّغة، دار الطَّليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 104.

[11]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2011، ص 73.

[12]- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التّراث اللّسانيّ، دار التّنوير، الجزائر، ط 1، 2008، ص 54.

[13]- أوستين، نظريَّة أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشّرق، د ط، 1991، ص 100.

[14]- نصيرة غماري، نظريَّة أفعال الكلام عند أوستين، مجلّة اللغة والأدب، ع 17، 2006، ص 81.

[15]- محمود نحلة، آفاق جديدة للبحث اللُّغويّ المعاصر، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، ط 1، 2006، ص67.

[16]- ينظر: المرجع نفسه، ص 69.

[17]- ينظر: طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظريَّة أفعال الكلام بين فلاسفة اللُّغة المعاصرين والبلاغيّين العرب، مطبوعات جامعة الكويت،1994، ص 30.

[18] عبد الملك بومنجل: غُربةُ الشَّمس، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الجزائر، د ط، 2020، ص 17.

[19]- ينظر: محمود طلحة تداوليَّة الخطاب السَّرديّ، تقديم: مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، ط 1، 212، ص 144.

[20]- ينظر: جورج يول، التَّداوليَّة Pragmatics، ص 90.

[21]- ينظر: المرجع السَّابق، ص 90.

[22]- ينظر: هاشم طبطبائي، نظريَّة الأفعال الكلاميَّة، ص 31.

[23]- ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة للبحث اللُّغويّ المعاصر، ص 100.

[24]- ينظر: محمود طلحة تداوليَّة الخطاب السَّرديّ، ص 145.

[25]- ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة للبحث اللُّغويّ المعاصر، ص 80.

[26]- ينظر: القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تر: محمد الحبيب خوجه، دار المغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص 263.

[27]- ينظر: محمَّد مندور، في الأدب وفنونه، القاهرة، مصر، ط 5، 2006، ص 65.

[28]- ينظر: تمّام حسّان، العربيَّة معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 2004، ص 363.

[29]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيّة الخطاب، مقاربة تداوليَّة، دار الكتب الوطنيَّة، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004، ص 82.

[30]- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، (باب الحاء)، مج: 1، ص 286.

[31]- ينظر: محمد طاووس، النَّظريَّة الحجاجيَّة، دار الثَّقافة، الدَّار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005، ص 08.